أحاديث النســـاء

أحاديث النســاء

د. زينب حلبـــي

اسم الكتاب: أحاديث النساء
اسم الكاتب: د. زينب حلبي
تدقيق لغوي: مصطفى حسين
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2020 / 13160
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 85721 – 3 – 1

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة
للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

المقدمة

يتناول الكتاب الكثير من المواقف الحياتية والتجارب الإنسانية لنساء المجتمع المصري حالياً، وكيفية فهمها والتغلب على المصاعب التي تواجهها النساء في حياتهن، كما يتضمن أحداث قد تراها في المنزل أو في المدرسة أو في الشارع مواقف عابرة قد تستعصي على التفسير ستجد هنا ما وراءها من دوافع وأسباب قد تصادف مثلها في حياتك الشخصية.

قديماً قالوا وهل يستطيع الرجل فهم المرأة؟ على سبيل التقرير. بمعنى أنها تستعصي على الفهم لكونها خلقت بطريقة خاصة تمهد لدورها الأساسي في الحياة، وهو تنشئة الأجيال، فكانت تنعم بالحيطة في كل مناحي حياتها ومن يحاول فهمها يفشل غالباً فلا تفهم المرأة إلا إمرأة مثلها. ولكن لا داعي للدهشة على الأقل تستطيعون التعامل معها بما يتوافق مع كينونتها وبما يفتح لكم مغاليق قلبها.

سوف أساعدكم بلا شك، ولكن عليكم أن تعدونني بوعد واحد، وهو ألا تهملوا نساءكم مهما حدث ومهما تعذر سبر أغوارهن ولكم مني كل التحية.

جدتي كانت سعيدة

كثيرا ما أتساءل: لماذا كانت جدتي وكل نساء جيلها سعداء لا ينقصهم شيء؟ لماذا كان جُل تفكيرهم في إعداد وجبات جديدة تنال رضا جدي برغم أوقات الفراغ الذي تنعم به النساء حينها!! حيث لا وظيفة ولا خروج من المنزل إلا في المناسبات أو للضرورة القصوى، كما كنت أراها مبتسمة طيلة الوقت تحدثنا نحن الأحفاد ببشاشة وتدللنا وتمنحنا قدراً من الحنان إفتقدناه مع والدينا؟

الحقيقة أن طبيعة الحياة كانت أسهل فكانت تصلي الفجر فور إقامة الصلاة ثم تستقيظ من نومها تعد الفطور لزوجها وأبنائها تعاونها غالبا شغالة تشتري لها ما يلزم المنزل من السوق وتغسل الأطباق والصحون، كما تعمد إلى البيت فتنظفه في حين تترك فرصة لسيدة المنزل أن تهتم بزوجها وأبناءها وتهتم بمظهرها النظيف المنمق داخل البيت، حتى الملابس كان هناك من تقوم بغسلها مقابل المال.

كانت جدتى محظوظة إذ كان جدي يعلم دوره في المنزل جيداً فهو رب البيت المسئول عن توفير متطلبات الأسرة المادية والعاطفية

والنفسية أيضاً، يهتم بمذاكرة الأبناء، وبإصطحابهم للطبيب إذا مرض أحدهم، بينما تقوم جدتي بالسهر على المريض حتى يشفى وتطبق تعليمات الحكيم كما يقولها بحذافيرها، كل منهما يكمل الآخر لم تسعى هي يوماً أن تتنازل عن أمومتها في مقابل جلب المال للأسرة وهو لم يمل من دور المسئول عن الجميع برضا وعن طيب خاطر.

كان يحضر لها الحلويات والشيكولاته والمكسرات التي تحبها وهي تعطي الجميع منها وتحتفظ لنفسها بجزء، وكان يفاجئها بالملابس الجديدة في كل حين ليسعد قلبها لأنه يعلم أن سعادتها ستنعكس على سعادته.

وكانت تخبره بإحتياجات الأولاد من ملابس وأدوات فيشتريها لهم بكل بساطة. ولا أنسى جلساتهم لسماع الأستاذ محمد عبد الوهاب في أسطواناته والست أم كلثوم في حفلاتها الإذاعية الجميلة وهو ما يثرى الذوق العام ويجلب للنفس متعة أيّما متعة تمنح النفس مزيداً من الراحة والخروج من رتابة الحياة وتعيد شحن الروح بكافة أسباب الروقان والسكينة.

قطعا لا ننسى وقت أن ظهر إختراع التليفزيون وكان الجميع يلتف حوله بكل سعادة ليرى كل ما يقدم إليه من وجبات دسمة تحمل الفن والمعلومات والأخبار، وأحاديث الشيوخ الأزهريين بما تحمله من علم نافع للدنيا والآخرة معاً، وأخص بالذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي وكلنا يحمل في نفسه مكانة رفيعة له، ومازالت كلماته تؤثر في من سمعها حتى يومنا هذا.

أظن أن أسباب سعادة جيل الجدّات أصبحت واضحة ونجملها في أن أول اهتمامات الزوج والزوجة كانت بالأبناء وتربيتهم وتعليمهم الأخلاق والذوق والعلم النافع لمستقبلهم.

وعدم توارد فكرة الأنانية أو التفكير في الذات أو النظر إلى من يتعب أكثر ومن يعطي مقابل من يأخذ، الجميع يعرف دوره عن ظهر قلب. والأسرة كيان مقدس لا يعبث به أى شيء مهما كان، الجميع يحترمه ويقدسه ويسعى للحفاظ عليه.

ما يسعد النساء في كل زمان ومكان كان وسيظل هو الإهتمام وإن إختلفت طريقة التعبير عنه ولكن الجميع يحتاجه ويمنحه في آن واحد.

نساء الماضي القريب

جيل الأمهات وهو الجيل الوسط بين العصر الحديث والجدات، وكان فيه الكثير من النساء العاملات، وقد حظين بالعلم والتخرج من الجامعة وحرصن على مساعدة الأسرة في توفير نفقاتها وتحسين مستوى معيشتها.

كن في الستينات والسبعينات ولم يكن الحجاب قد ظهر بعد معظمهن كن من المدرّسات والموظفات في الحكومة وكانت المرأة تهتم بزيها وبشعرها وبوضع المكياج يومياً دون اعتراض من الزوج أو المجتمع لأن الجميع كان يفعل ذلك وكانت الأخلاق مازالت بخير فلا تتعرض لأى مضايقة بسبب ملابسها أومظهرها، الاحترام كان مازال سيد الموقف والجميع تربى على الأصول والقيم من أمهات تُعلّمها جيداً.

وكانت الأسرة تتعامل بكل ود وهدوء وبلا عصبية وتتجمع في المساء على مسلسل القناة الأولى في تمام الساعة الثامنة وتتشوق للحلقة القادمة لتتابع تطورات الأحداث.

كما كان الفن يحمل رسالة إرساء قيم أخلاقية ومبادىء رائعة جعلت التعامل الحياتي أرقى بين الناس.

جيل قراءة الصحيفة اليومية ومعرفة الأحداث الجارية من التليفزيون والراديو.

جيل مسلسلات القناة الثانية الأجنبية الساعة التاسعة مساء. فالكونت مونت كريستو ونوتس لاندنج والجرىء والجميلات وغيرها.

وبرنامج نادى السينما وهو نافذة ثقافية على الأفلام العالمية وأوسكار واخترنا لك والعالم يغنى وفن الباليه.

أما الآن فكل شيء قد تغير.

أجيال التسعينات و الألفينات

ما عاد الناس كما كانوا، إنتشر الكومبيوتر وشملت شبكة الإنترنت كل مكان في العالم، ولم يعد التليفزيون ذو أهمية أمام هذا الإختراع الهائل الذي سهل كل المعلومات وجعل مشاهدة الفيديوهات والأفلام والأغانى في متناول الجميع.

تفرقت الأسرة، أصبح لكل فرد عالمه الخاص وزادت نسبة المعاناة من الإكتئاب، غابت الرابطة الإنسانية في كثير من البيوت المصرية وأضحى الجميع يلهث خلف أحدث أنواع الموبايلات التى أصبحت تمثل حاسب آلى صغير يمكنه أن يوصلك بالعالم الخارجي بكل سهولة ويالعجب في الزيارات العائلية أصبح الموبايل رفيق كل فرد لا يفارق يده.

وبعد أن كان الآباء يستاؤن من حمل أبنائهم له في كل وقت صاروا هم أيضا يفعلون ذلك ويشاركون في عالم مواقع التواصل الإجتماعي التي افتتن بها الجميع.

نساء اليوم

حملت المرأة اليوم على عاتقها عبء الأسرة بالفعل، فأصبحت تماثل الرجل نداً بند في كل شيء سواء في الحقوق أو في تبعات الحياة، ولم يعد يُنظر إليها نظرة الكائن الرقيق الجميل الذي يجب أن تتم رعايته والإهتمام به، ولكن صارت مثل الرجل للأسف، مع العلم أن الطبيعة ميزتها بخلق آخر مغاير تماماً للرجل إلا أنها لم تعد تنال الفرصة حتى لإثبات أنها إمرأة تحتاج للإهتمام والرعاية النفسية والتقدير.

المرأة تحملت اليوم أكثر من دور، منها إمرأة عاملة من أجل المادة وأم ومعلمة ودادة ومديرة منزل.

أما دور الزوجة التي تهتم بزوجها وبكل تفاصيل حياته وتمنحه الرعاية والعاطفة التى تجتذبه إليها فقد تلاشى تماماً وتبقت مشكلات الحياة اليومية التي تطغى على أي سعادة أو وفاق.

الرجل يحمل عبء أثقل من قدراته والمرأة أيضا تحمل عبء أصعب من الرجل، المعضلة بينهما أنها لا تجد التقدير أو الإعتراف

بالجميل لتنازلها عن راحتها وجمالها لإسعاد الأسرة وبلا مقابل من شكر أو عرفان.

ربما كانت في حاجة أكبر إلى يد تربت على كتفها وتضمد جراحها، وتذكرها أنها ملكة في بيتها وأن أبناءها يعرفون فضلها جيداً ولكنها لا تجد مثل هذه اليد غالبا.

حكايات ومعاناة النساء

قالت لى إحداهن: أتعلمين أن زوجي لم يخرج معى منذ عشرون عاما وحدنا.

لم يفكر أن يشتري لى الذرة المشوي ويتجول معي على الكورنيش ولولمرة واحدة، أتعلمين أنه لم يقبل أبنائه ولا مرة في طفولتهم؟

كان يظن أن دوره ينحصر في الممول لنفقات البيت والأولاد فقط.

في إحدى زياراتي لأحد الأطباء رأيت أباً يحنو على طفله ويقبّله ويحمله بين ذراعيه فسقطت دمعة من عيني رغما عني لأني تخيلت شكل زوجي وهو يضرب إبننا لشقاوته بخرطوم المياه وهو يصرخ وأنا لا أستطيع أن أدافع عنه.

سألتنى هل هي قسوة الحياة أم الظروف أم القلوب التي لم تعد تحمل سوى المادة بداخلها.

بكيتُ من كلماتها وقلت لها لماذا لم تقفي وقفة حاسمة أمامه ويتعهد بعدم مس إبنه بأي سوء لماذا لم تقاومي؟

قالت بكل هدوء: الفشل في حياتي كان سيصبح هو النتيجة وكان أبى سيعيدني إليه رغما عني، حتى أمي لم تكن تطيقني أنا وإبني وكنت سأنال جزاء ذلك دمار نفسي يفوق كل ما تتصورين فضلاً عن زوجي الذى لا يرتبط بي إلا رابطة سطحية سهل عليه أن ينهيها ويستبدلني بأخرى.

- ماذا فعلتي إذاً؟

- كرست كل همي في تربية أبنائي وتعليمهم والإهتمام بذلك ومحاولة إبعادهم عن أبيهم وعدم الشكوى منهم إليه إلا نادراً بل أحيانا كنت أوفق بين وجهات نظرهم لعدم حدوث الصدام، ولكن يا سيدتي أبنائى نجحوا دراسياً ولازالت بداخلهم رواسب من الطفولة تقتل فرحتهم في الحقيقة هم لا يفرحون مهما حدث.

حديث آخر

في هذه المرة قالت لى امرأة على قدر عالٍ جداً من الثقافة والجمال والإهتمام بنفسها سواء من الخارج أو من الداخل، قالت لي:

- إن زوجى بخيل، بخيل في ماله، يأخذ راتبي كله ولا يعرفني شيء عن دخله وعن مكافآته وأعرف أخباره بالصدفة من صديقاتي اللاتي تزوجن بزملائه في العمل، بخيل في مشاعره لا يحاول إبداء أي إهتمام بي لا يغار علي وكأنني لا أعنيه، ينظر إلي كأننى هواء لا وجود لي، لم يفكر يوماً في الحديث معي حديثا ودياً لم يسألنى ماذا ينقصني من طلبات المنزل أو الأولاد، كان يعيش معي كأنني في حرب، مستعد متنمر دائما ينقض على سعادتي بكافة الوسائل التي تؤلمني وفي النهاية إنفصلنا ولم أهتم بكلام الناس لأنني وجدت أن راحة بالي أغلى من أي حديث سيقال عني، وأي ظلم سيقع علي من المجتمع أرحم بكثير من ظلمي منه وهو الموكول إليه سعادتي حسب الشرع والعرف، لم أذق معه لحظة سعادة وكنت أبكي كل يوم بعد أن كنت الفتاة المحبوبة من أهلي لأني وحيدة، إشتريت نفسي منه بالمال ليتركني أعيش، فقط أعيش

حديث جديد

هذه فتاة جميلة لا ينقصها أي شيء، وللأسف الجمال كثيراً ما يكون نقمة، قالت أنها أحبت زميلاً لها بالعمل وكانا متفقين على الزواج، وكان يسمعها قصائداً في حبه لها وأنه لا ينام إلا على صورتها في خياله.

كان كل شيء يسير بطريقة جيدة، وتعاهدا على الوفاء كعادة الأحبّاء ولكن ماذا حدث؟

استيقظت في أحد الأيام على خبر خطوبته من فتاة أخرى، ونزل عليها الخبر كالصاعقة، شعرت بالذهول أصيبت بصدمة عصبية أدخلتها المستشفي أياماً طوالاً وهي غائبة عن الوعي لم يعرف أحد من أسرتها بالأمر ولا ما سبب حالتها ولكن الجميع تمنى لها الشفاء لأنها فتاة على خلق وجمال فعلاً.

في أحلك لياليها وهي وحيدة كانت تقضى الليل كله تتساءل:

- لماذا؟، لم أرتكب أي ذنب لماذا الغدر؟ لماذا قلة الأصل؟

وكانت دموعها لاتجف.

مرت الأيام ورفضت كل من طلبها للزواج بالفعل هى أصيبت بعقدة، وأصبحت تكره الرجال وترى أنهم مخلوقات خائنة لا أمان ولا عهد لها.

تساءلتُ معها: لماذا؟ هل الرجال يحلو لهم قتل فرائسهم بهذه الطريقة أم أن قلة منهم من يملكون هذا الفكر القديم في أن من يحبها لا يمكن أن تؤتمن على حياته وشرفه.

برغم أنها أخلصت له وكانت على إستعداد أن تهبه حياتها لو طلبها فقابل هو كل ذلك بالجحود والخسة. هي لم تفعل ما يشينها، هي فقط أحبته، ولكن يبدو أن الحب لا قيمة له أمام المعتقدات البالية والعقول المغلقة التى تربت على مفاهيم وقيم ظالمة.

هى تألمت من أجل حبها المذبوح وهو عاش حياته مثل معظم الرجال بلا تأنيب لضميره ودون أن يقض مضجعه فكرة أنه كاد يودى بحياتها.

حكاية عادية

كم امرأة إكتشفت بعد زواجها أنه شخص آخر غير الذى عرفته؟

كانت فتاة مثقفة جداً تحب القراءة والإطلاع، مرت عليها مئات القصص التى عاشت فيها أكثر مما عاشت بين الناس، وكان شرطها فيمن ستتزوجه ألا يقل عنها ثقافة وعلماً، لم تشترط منصب أو وظيفة بعينها أو مستوى مادي عالٍ، إنما اشترطت أن يكون مثقفاً وكان ذلك لقلة خبرتها في الحياة، كانت تعتقد أنها ستحتقر من دونها في الثقافة ولا سيما أنها صادفت الكثيرين حولها أقل منها ثقافة فانساقت وراء هذه الفكرة وكانت خجولة وعلى خلق إلى درجة أنها تنعت بالمتزمتة التي لا تقبل تهاون في أي سلوك، صريحة واضحة داخلها مثل خارجها مقلة في التعامل مع البشر تميل إلى الإنعزال كعادة من يحبون القراءة ويندمجون في دخائلها.

تقدم لها أحدهم وكان يكبرها بعشر سنوات وكان مثقف، يقرأ الصحف والمجلات بانتظام وليس الكتب والروايات، ولكنه يظهر ثقافته في شتى الأحاديث مع من حوله، ولكنه كان يعود لأصول ريفية

بل ويقطن في الريف، من عائلة معروفة ولكنه ليس غنياً بالمعنى المتعارف عليه إنما يملك جزء بسيط من الأرض الزراعية ورثه عن والده ومنزل أعاد بنائه على أثر عودته من إحدى الدول العربية، حيث عمل بها عدة أعوام من قبل.

تقدم لخطبتها وتمت الخطبة بعد ما تأكدت "نور" أنه يتحقق فيه الشرط الوحيد الذي وضعته لمن توافق عليه وكانت متفائلة في أول الخطبة وسعيدة بمناقشاته حول الكتّاب القدامى والمعاصرين ولكن الشك تسرّب إلى قلبها ذات يوم في أنه ربما لمس في شخصيتها نقطة ضعفها التى وافقت عليه من أجلها وبدأت الأفعال الصغيرة تمحو الأفعال الكبيرة.

فقلت لها: عفواً لم أفهم.

قالت: ربما يصنع أشياء كبيرة جداً يحسدنا الناس عليها ولكنه في المقابل يضيعها هباءً بأفعال أخرى لم يفعلها، صغيرة جداً قد لا تكلفه شيء وهي هامة بالنسبة لنا.

كأنه يخذلني ذات مساء حين ينجح إبننا بتفوق ويرفض أن يحضر حفل تكريمه كباقى الآباء. أو كأنه مثلا يتركني مريضة عدة أيام ولا يسأل عن حالي ولو على سبيل العلم بالشيء، فأفهم أنني لا أهمه في شيء، أو ربما ذات مساء أعلم ان أحد والدي مرض والجميع عاده حتى الغرباء وهو يرفض ان يصطحبني وأنا أعوده، فأظهر بمظهر المرأة الوحيدة او المهملة.

أو أن تكون هناك مناسبة تخصنى أيّا كانت ويسعدني وجودي فيها ولا يمانع هو في ذلك ثم يرفض أن يرافقني.

وأحياناً كان يأتي علي حين أضطر إلى مجاملة أحد الأهل أو الأصدقاء ويتركني كعادته أذهب اليه وحدي.

كل هذا شيء وكوني أحجز في المستشفي لعمل بعض الفحوصات والأشعة وأتعرض للتخدير الكلي ويرفض أن يرافقني ويدعني لأبي المسن وأمي المريضة ليأتوا معي، فيضطر أبى أن يخبر إدارة المستشفى أن زوجي مسافر للخارج حينما يتم السؤال عنه لأنه يعلم أنه وضع غير مقبول اجتماعياً ان أجري فحوصات وحدي بدون زوجي.

وغيرها مواقف كثيرة يضيع بها أى فعل كبير من وجهة نظره طبعاً ويمحوه ويجعلنى وأبناؤه نراه مقصر رغم ما يبذل من جهد في عمله، ورغم علمه أن ما يفعله لا يشكل فرق في حياتنا مهما قدم ومهما تعب فنحن لا نستطيع ان نراه حتى في دائرة الضوء حولنا.

ما أصعب أن تعرف أن قصة عمرك قد خُطَّت بقلمٍ رصاص يمكن أن تُمحَىَ سريعاً في لحظات ،أن تحيا دهراً وكأنه غمضة عين تبحث عن ذاتك التى أفنيتها في غيرك فلا تعثر لها على أثر، تطارد خيالاً كنت أنت وحدك من تراه وتتآلف معه حتى ظننته حقيقة وتعبث بك الأيام فتجده خيال ليس إلا، سنوات نقتطعها من روحنا ونعيشها بكل ما فيها من مشقة وابتلاءات وعثرات ونظن اننا اختتمنا متاعبنا لنبدأ حصاد ما زرعناه فإذا بنا صفر اليدين لا شيء يبقى للأسف.

حتى ما كنا نظنه راسخاً لا يتزحزح ما لبث أن نُسِف وتلاشى وكأن شيئا لم يكن، هل تتغير القلوب؟؟ أم تراها تمل؟ أو ربما تتوه عن مسارها، ولا عزاء للوفاء يا قلبي.

البيوت أسرار

قالت لي:

علمتنى أمى أن البيوت أسرار، وكأنها ارست قاعدة أنه ممنوع الفضفضة لانها ستتخذ ضدي وستكون سلاحاً للمجتمع لكي يقتلني يوماً ما وقد كان.

مرت أعواماً طويلة وأنا لم أنبس ببنت شفة عما يحدث لي وعما أعاني، حتى في الوقت الذي كان يجب علي أن أتكلم أصرخ أستنجد لم أفعل، فتحملت وكان الكتمان قاتلاً، وكأنك تملأ إناء حتى يفيض فلم يعد هناك موضع للمزيد، فتصل إلى أن ينبعج الإناء فيتشوه ويسقط منه ما به دون أن يدري على هيئة كلمات تحمل الأسى والشجن وربما كافة المشاعر السلبية. كان قلبي أخضر في البداية شفافاً لا يحمل سوى الآمال المتواضعة التي تطل على استحياء وتتمنى أن تصبح واقعاً في يوم من الأيام ولكن قسوة الحياة تضعنا أمام مالا حيلة لنا فيه، ويكون الصمت هو القاتل المأجور الذي نساعده لكي يحطمنا ويسلب حقنا الطبيعي في الحياة وللحكاية بقية

كيف يصالحني

قالت لي:

لم يكن يحاول إرضائى إذا غضبت منه أو أحزنتني كلماته، كان جافاً يكلمني وكأن شيئاً لم يكن، وكنت أحمل في قلبي آلاف الندوب منه. تمنيت لو حاول يوماً أن يربت على كتفي ليسترضي كبريائي الثائر أو قلبى الكسير.

هكذا بدأت كلماتها عن زوجها وكانت نظراتها تحمل تعبيرات المرارة التى تشع من كلماتها ومدى عمق الألم الذي يشعرها أنها لا تستحق أن تعامل كإنسانة لها قلب ولها كرامة وليس لها حيلة للأسف. ليس لها ملجأ سوى الله....وللحكاية بقية

قالت لى

كم كنت أحتاج إلى الإهتمام فمنذ طفولتي أحسست بفقدانه وفقدان الطفولة نفسها، كنت في حاجة إلى أن أشعر انهم يروننني ولم يفعلوا أبداً، لذلك صارت عندي تلك العقدة حتى كبرت فكنت أختار الالوان الصارخة، والحلي وأدوات الزينة الملفتة، لكي أحصل على أي تعليق ممن حولي بالفعل، كنت أشعر بسعادة غامرة إذا التفت أحد إلى شكلي، كنت صغيرة ولا أفهم أن الجوهر أهم بكثير من الإطار الخارجي وحتى بعد أن تزوجت عانيت من زوجي لانه كان أستاذاً في تكبير الدماغ.

لا يراني وأنا أمامه ولا يمكن أن ألفت ناظريه مهما فعلت فكنت أشعر أننى أؤدي أدواراً تمثيلية وكأن الكاميرات تحوطني من كل جانب فأهتم بهندامي كثيراً لكي أبدو أنيقة كما يجب، ولكن للأسف بلا فائدة لذلك كان ومازال الإهتمام هو نقطة ضعفي التي ينفذ إلي منها أى أحد، والسبب معاناة في الطفولة التي سرقت مني.

آلام الفقد

كثيراً ما سمعنا كلمات تدعونا إلى عدم الحزن على فقدان ما نحب وأن نصبح أشدّاء في مواجهة الأزمات مهما كانت وأن نتجلّد ونصبر ولكنّى أرفض هذا الموقف وأشعر أن الإنسان يجدر به أن يُظهر مشاعره الحقيقية وألا يضغط على نفسه ليخفي ما في صدره من ألم خاصة عند فقدان الأحباء.

لقد خلق الله تعالى قلوبنا ونفوسنا تشعر وتتألم وتسعد وتغضب وتحب وتكره ومن أقوى المشاعر التي لابد أنها صادفتنا جميعاً هو الشعور بالفقد ومن الطبيعي جداً لأننا بشر أن نتألم، وتمر علينا الساعات والليالي ونحن في ضيق ووجع.

ليس من الحكمة كتمان مشاعرنا فهذا يزيد الأمر سوءً فلا أظن أنه من الطبيعي أن نمر على موقف كهذا مرور الكرام وننسى... أو نُظهر عكس ما بداخلنا، فلنفتح قلوبنا ونظهر ألمنا ونذرف الدموع لنتخلص منه وسنكتسب النضج الذي يعوضنا ويهبنا الصبر عند الشدائد في المرة القادمة.

إنتظرت طويلا

قالت لي:

انتظرت أن أرى النهاية.. انتظرت أن أتحدث من قلبي، ألا أُخفق في اختبارات الأيام حين تبتلينا في مدى الصبر على المصاعب، وفي تحمل مرارة اليأس أحيانا ويكون الإنتظار قراراً نتخذه لكي لا نجزم فيما يحيرنا، وياله من خيار صعب تنوء به النفس وتتألم الأعصاب ونصبح معه مثل وريقات الشجر في تشرين، وكلما تساقطنا كلما تراجعت أقدامنا للخلف، للخوف وللحزن، وندمر معه ذكريات تتساقط وأمل يخبو ونظل نلهث إلى مالا نهاية.

ويكون الفراق علاجاً أحياناً لجرح لا يبرأ مثل الكي تماماً وأحياناً يكون مثل البتر، ولكن يالقسوته حين يكون إضطرارياً بسبب واقع لن يتغير أو حاضراً يحمل الموت قطرة قطرة حتى يترك أصحابه فتاتاً لا يتجمع مرة أخرى.

قالت لى:

كانت لحظة الفراق أصعب مما توقعت، اتفقنا على الإبتعاد وألا نتكلم ثانية، ووافق بكل سهولة، لم يبد أي اعتراض وأنا تماسكت أمامه وما هي إلا ثوانٍ ومشينا كل في طريقه، وما أن عدت للمنزل حتى وجدت مقاومتي تنهار تدريجياً وأنا أقاوم وأجاهد نفسي حتى لا تتساقط أي دمعة من دموعي ولكن هيهات، كانت الدموع أقوى من إرادتي، لم أنم، لم يغمض لي جفن، التفكير كاد يقتلني وفي الصباح جريت مسرعة على عملي لكي أنسى، وما أن سمعت بالصدفة أغنية فيروز: لا انت حبيبي ولا ربينا سوا .. قصتنا الغريبة شعلها الهوى صرت عنك غريبة.. إنسانى يا حبيبى.. إنهارت مقاومتي وهبط ضغطي بصورة مفاجئة مما اضطرني للذهاب للطبيب الذى أجرى لي رسم قلب في الحال واخذ يسألني إن كنت قد انفعلت أم لا ووصف لي دواء ونصحني بالهدوء وانه لا شىء يستحق وأن حالتي خطرة بالفعل و ضربات قلبي متسارعة.

بعد أن عدت من زيارتي للطبيب وتناولت العلاج بلا فائدة علمت أنني من الممكن جداً أن أموت وبيننا هذا الجفاء والحزن وأنه ربما يمر بمثل ما أنا فيه من مرض بسبب الفراق، فعظم في نفسي أن أموت دون أن أسمع صوته ولم أجد من أشكو إليه حالي سواه، فقد كنت في حاجة إلى كلمة عطف ورثاء لحالي وإلى الحنان ولوحتى القليل منه فهاتفته وشكوت له مما أصابني ومن عدم وجود أحد يرثى لي أو يشفق علي، هاتفته من وراء عقلي لأنني لو فكرت لحظة واحدة لما فعلت وبمجرد ما كلمته ولمحت في صوته اللهفة والخوف الحقيقي علي بكيت وأنا أحدثه وأخبره بمدى ضعفي وألمي وانني فاشلة حتى في قرار الإبتعاد عنه، فشلت وربما كان ثمن ذلك هو فقداني لحياتي فتألم من أجلي وقال لي أنا وأنت مازلنا على قيد الحياة فلما تبكين أو تحزنين لا يحق لك أن تصلي إلى هذه الدرجة من الضعف خاصة وأن الانفصال قرارك أنت وليس قراري، ثم أنه يجب عليكي أن تقولي لنفسك حتى لو إبتعدنا فنحن ما زلنا على نفس الأرض وتحت نفس السماء ونتنفس

نفس الهواء ونتذكر نفس الذكريات ولن ينسى أحدنا الآخر حتى الرمق الأخير فلم كل هذا الألم ؟

بالفعل هدأت نفسي وعاد لي صوابي ورجعت ضربات قلبي للانتظام وكذلك ضغطي وأخبرني الطبيب بعدها أنه كان يخاف علي ولم يرد أن يخيفني أو يزعجني إذا صرح لي بحالتي. ولكنني علمت وقتها أن الفراق ربما كان قراراً بالموت وأنا لا أعلم.

قالت لي:

ويكون الفراق علاجاً أحيانا لجرح لا يبرأ مثل الكي تماماً، وأحيانا يكون مثل البتر، ولكن يالقسوته حين يكون إضطراريا بسبب واقع لن يتغير أو حاضراً يحمل الموت قطرة قطرة حتى يترك أصحابه فتاتاً لا يتجمع مرة أخرى.

هل مازال هناك من البشر من يحبون ويتألمون ويسهرون الليالي تتساقط دمعاتهم بسبب الفراق هل المشاعر الصادقة مازالت تعيش في القلوب ويهتمون برضا من يحبون.

فقلت لها وقد أهتزت لكلماتها روحي: ربما .. ولكن الأهم من كل ذلك أن يوجد من يستحقون هذا العذاب الذي لا ينتهي وألا يتبعه الندم في النهاية.

فقالت لي: هل هناك اختيار؟ أليست هذه مسائل قدرية خارجة عن إرادتنا؟

فقلت لها: ولماذا يختار لنا القدر العذاب؟صدقيني نحن من نختار ما يؤلمنا نختار أن نتعذب فماذا إذا هربنا سريعاً اذا شعرنا بالبداية وبأن القادم لن تحمد عقباه؟

ولكن ذلك لا يحدث فنحن نستعذب العذاب ونعتاده بل ونُدمنه، حتى يصبح جزءً من نفوسنا، وكأنه كتب على باب الدنيا أن من يسعد أوقاتاً لابد أن يشقى بعدها لسنوات وأحياناً لبقية عمره.

فقالت لي: الطيب أحسن والهروب في الوقت المناسب أوجب علينا.

قالت لي:

بينما كنت أسير أقصد أعيش حياة مملوءة بالرتابة والملل والضجر تعثرت حين إصطدامي به، كان يعبر حياتي كملايين البشر الذين أقابلهم أو ألقاهم مصادفة يومياً. كنت أعلم أنني لن أطمئن لأحدهم يوماً، وربما لا أراهم أيضا ولكن لا أدري كيف رآني وتعلق بي دون أن ألتفت لذلك، وحين إلتفت شعرت بالدهشة، أعلم أنني لم يحدث أن أثرت أي اهتمام أو أي أثر في نفس أحدهم من قبل، ولكن لماذا وكيف؟

مرت الأيام وأنا في حيرة واختلط علي الأمر، هل سنصبح أصدقاء أم أنها قصة قوية ستربطنا للأبد حتى لو افترقنا؟ أخشى من القادم فكم قرأت عن آلام الفراق وليس لى قبل بها.

فقلت لها:

لماذا تفترضين انك ستتألمى ربما كانت أحلى أيامك القادمة وستتذوقين طعم السعادة بعد طول غياب لها.

فقالت: قلبي يحدثني بأن الربيع لم يأتِ بعد وأنما هى نسائم الشتاء المطير وهدوء ماقبل العاصفة.

أخاف على نفسي من الآلام ربما قتلتني بالفعل وليس مجازاً

فقلت لها:

اتركي عنان قلبك ولو قليلاً ربما أرسله الله لكِ حتى يعوضك بالسعادة عن آلام عشتيها طويلا منذ طفولتك ويمنحك الدفء والحنان الذي لم تتذوقينه أبداً حتى من أقرب الناس إليكي أبيكِ وأمك، في إطار من الشرعية التي تليق بك.

فصمتت وفي عينيها أشجان أجابت عن كل ما دار في عقلي من أسئلة، يبدو انها دخلت في اللعبة دون أن تعرف، قالت لي:

- هذه الأماكن كلها ليست لنا، مرت الأيام ولم يعد هناك متّسع لمزيد من الأماني سافر زماننا والآن ليس لنا.

نحن جيل الآباء والأُمهات نشعر بالغربة حتى الكلمات الجديدة لا نفهمها وإذا فهمناها لا نستطع مسايرتها، تمضي بنا الحياة ونحن مذهولين مما وصلت اليه حالنا كأننا من عالم آخر.

يشعروننا أننا نحمل قيماً بالية عفا عليها الدهر، وهيهات أن نتكيف أو نعتاد على مبادىء واخلاقيات جديدة لم نتعلمها ويرفضها ضميرنا، لذلك صرنا غرباء في أوطاننا.

قالت لي:

يتمرد قلبي علي أحيانا لم يعد هذا الحمل الوديع الذي ما إن قسوت عليه إلا وقد استجاب يخيفني كثيراً حين يعصي أوامري وكأنه غيري، ماكل هذه الدموع التي يستعطفني بها لكي أطيعه. ما كل هذه الذكريات القديمة التي يدفعها أمام عيناي لكي ألبي نداءه؟

لما كلما ظننت أنه رضخ للأمر الواقع واستسلم أراه يعاود النحيب فيسقينى من القلق والحيرة ما لا قبل لي به؟؟

وكأنه لن يهدأ إلا بعد أن أترك له العالم وأرحل وأعتقد أنه وقتها أيضا سيظل على رأيه لن يمتثل لأوامري.

خلقنا الله بشراً نحمل بين ضلوعنا القلب كما يتحكم فينا العقل والروح والنفس وكثيراً ما تحتدم المعركة بداخلنا بسبب هذا القلب الذى يأبى أن يكون الخاسر ويصبوا إلى السعادة على طريقته فنحاول

أن نشرح له الأمر ونفهمه أن العاقبة لا ترضيه ولكنه يأبى ويتمسك بقراره كطفل ساذج يتشبث بما يحب حتى لو سبب له الأذى، وما حيلتي عندئذ؟؟

قالت لي:

كثيراً ما يصيبنا الإحباط ممن نتعامل معهم ونظن أنهم يقدروننا ويفهمون تفكيرنا ونفاجأ بأننا واهمون والصورة التي بدت لنا في البداية ما هي إلا قناع زائف يرتدونه لمسايرة الأمور ويخلعونه وقت اللزوم وياليتنا رأينا حقيقتهم أو حتى شككنا فيهم ولكن لا نتعلم إلا بعد فوات الأوان.

فقلت لها: سنرى، الأيام هى صاحبة الكلمة الأخيرة.

العثور على النفس

قد تقضي معظم حياتك وأنت تتقمص شخصية غيرك، تعيش دوراً لا يمثلك، تنسى نفسك الحقيقية وتمر عليك الأيام والأعوام ولا تعرف للسعادة طعماً، ذلك أنك لم تفهم يوماً أن السبب أنك بالفعل قد تخليت عن نفسك الحقيقية التي لو عشت بها كما أراد لك الله أن تحيا سوف تسعد فعلاً ولكن ربما غابت عنك هذه الحقيقة، والسبب أنك منذ الطفولة طُلب منك أن تغير من روحك، تكتم مشاعرك، تقهر عفويتك، فأصبحت كائن غريب عنك، وفجأة يشاء الله أن يرسل لك صديق أو قريب أو حبيب يقترب من روحك، يضع يده على مكنونك وجوهر نفسك، يقترب منك بدون شروط ولا مصالح، يمنحك الإحترام والتقدير والحب بدون اسباب فيعيد لك حبك لنفسك فتجدها قد تبدت مرة أخرى وشيئاً فشيئاً تعثر على ما فقدت وتبدأ تتغير، وتعود لك نفسك وتصيبك الدهشة من أنت حقاً؟ وأين كنت وكيف ضعت؟ ولماذا رجعت؟ طبعا ستكن كل العرفان والود لمن أعادك وستعتبره هدية من الله وستحافظ عليه بكل ما تملك من قوة.

سجون إختيارية

كثيرا ما نسجن أنفسنا داخل فكرة معينة أو طريقة حياة أو أسلوب.. ربما نسجن أنفسنا داخل علاقة فاشلة أو عمل لا نحبه ولا يناسبنا، أو إحساس زائف بالمسؤلية، بل أحيانا ما نرى أن الكون من حولنا لا يحتوى سوى على عالمنا الصغير الذى لم نغادره سواء حياتنا الشخصية أو روتيننا اليومي القميء.

لكن الحقيقة أن العالم أوسع من ذلك، فإذا ما حاولنا الخروج من سجون فرضناها على أنفسنا وصادفنا العالم الرحب الحقيقي الذي يمنح من يراه ويعيش بداخله إحساساً آخر باتساع الأفق والدهشة والسعادة، باتساع المدارك ربما لا يعلم البعض انه سجين منذ زمن بعيد وانه في حاجة إلى التأمل فيما حوله والقراءة الجيدة للواقع ولا يعطي الأمور أكبر من حجمها فيغرق في داخل حياته ناسياً أن العالم حوله رحب وملىء بما خلق الله من أجل البشر.حاولوا أن تعرفوا سجونكم وتتخلصوا منها ستشعرون بميلاد جديد رائع.

حكاية جديدة

قالت لى: مازلت أتذكر وتسقط دموعي كلما مر بخاطري.

فقلت لها: هل كنت تحبينه إلى هذه الدرجة؟

فأجابتني: أحببته لدرجة أن فراقه زلزل كياني، لدرجة أنني ظللت أصالح قلبي لأعوام بعدما اتخذ عقلي قرار الإبتعاد عنه.

- ولكنني أراك لم تبتعدي عنه حقاً، فروحك تدور في فلكه تبحث عنه وتسأل عن أحواله وتسلم على روحه دون أن تعلما.

- ربما، ولكنى ابتعدت بالفعل، فلم يعد يسأل عني وحرمت نفسي من تجدد الأمل ومن سعادة الشعور بعطفه علي.

قلت لها: أتظنين أن هذا سيستمر للأبد؟

قالت: لا أدري ولكن في نيتي ان يستمر.

فقلت لها: سنرى، الأيام هى صاحبة الكلمة الأخيرة.

الوداع (من الحياة)

كان عمرها وقتها الثالثة عشر حين قابلت صديقتها هذه لأول مرة، إلتفتت اليها فقط ولم تكن تعلم أنها ستكون أقرب إنسان إلى قلبها، وتمر الأيام وتجدها معها في نفس الفصل في الصف الثانى الإعدادي، ثم تنبهر حين تعلم أنها تحب القراءة وترى معها كتاب عنوانه الذين صعدوا إلى السماء للكاتب الرائع أنيس منصور، تتناوله منها في حديث عابر وتقرأهُ فتصبح من عشاق هذا الكاتب وتهيم بأسلوبه وبكلماته، ثم تتعرف على صديقتها عن قرب فترى فيها أقرب من عرفت لقلبها او ربما رأتها هى نفسها في جسد آخر.

كانا يمضيان جل وقتهما بين جدران المكتبة يستمتعان بقراءة الكتب المتنوعة في شتى المجالات، ويتبادلانها فيما بينهما وتتحدثان سوياً في عطلة نهاية العام عبر الهاتف وكأنهما معا ويفترقا في الصف الثالث الإعدادى ثم يلتقيا في الصف الاول الثانوي وتجمعهما هواية مشتركة تحتاج إلى الكثير من الموهبة وهى كتابة الشعر ويتبادلا الرسائل بالشعر ويالها من كلمات تلك التى خطتها أقلامهما حتى إذا حدث

بينهما خصام يتعاتبان بالشعر، وصنعا معاً قصائد يردا على بعضهما بها تماثل النقائض التى كانت تكتب في العصر الجاهلي ويرد فيها الشعراء على بعضهم بالشعر في أسواق عكاظ، فهما قد درستا هذا الشعر في النصوص هذا العام.

ولا عجب أنهما كانتا واسعتا الثقافة وكانت فتاتنا تلك ترى في صديقتها أسمى معاني المحبة والإنسانية واشتركت معها في الأخلاق العالية، والمعلمين شهدوا لتلك الفتاة بأنها الطالبة المثالية، كم تمنى كل من درس لها أن تكون ابنته مثلها في العلم والأخلاق، ونعود لعلاقة الصداقة التي نادراً ما نصادفها في حياتنا، الحقيقة أنهما تركتا العنان لخيالهما فتعلقتا ببعضهما إلى الدرجة التى جعلت كل منهما تمرض اذا صادف وتخاصما لأي سبب وكما نعلم أن التعلق هو صورة مرضية للإرتباط وهو فخ ممكن أن نسقط فيه متى اعتمدنا على الآخر في سعادتنا وأماننا النفسي، وقد كان بالفعل، كانت تشعر بالعذاب اذا سافرت صديقتها لعدة أيام وبالوحدة إذا فارقتها لأي سبب وتمر الأيام ويتفارقا فتدخل فتاتنا علمي علوم وتدخل الأخرى أدبي،

فتمر بأصعب مراحل حياتها حتى أن دراستها تتأثر فتصاب بالإكتئاب الحاد، وتحصل على مجموع أقل مما تتوقّع وأقل من مستواها الدراسي بكثير.

وهكذا هي، دفعت الثمن من أعصابها ومستقبلها وبعد أعوام طويلة أكثر من خمسة وعشرون عاماً مرت على فراقهما، أدركت أن ما بينهما كان تعلق وليست صداقة، أخيراً عرفت الفرق.

نسمات الربيع (قصة وعبرة)

كانت الأيام تحمل المفاجآت لمحمود، كان يتوقع أن يعثر على فتاة أحلامه بأسرع مما يتخيل، ولم لا .. فهو قادم من إحدى الدول العربية ويملك المال الذي جعله يعيد بناء منزل أسرته من جديد، ويبنى لنفسه شقة أمام شقة أمه في قريته، وكان يعلم أن سمعة أهله ستجعله شاب لا يُرفض، فأشار عليه أحد أصدقاؤه بفتاة تعمل مدرّسة، فتقدم لها وتمت الخِطبة، وكان في منتهى السعادة فقد شارف على الثالثة والثلاثين ولم يتزوج بعد، ولكن يشاء القدر أن ترفض خطيبته العيش في قرية وتشترط عليه أن تتزوج في مدينتها، فيفسخ الخطبة ويعيد البحث مرة أخرى ليعثر هذه المرة على فتاة من مدينة بعيدة لا تعرف ماذا تعني كلمة قرية، وعلى ماذا تدل، ويوافق أهلها على الخطبة رغم عدم ارتياحها ورفض عقلها للزواج ممن لا تعرفه ولا تربطها به أية عاطفة، ولكن يقنعها أبيها أنه إنسان طيب ومحترم ولن تجد مثله، وستندم إن هي رفضته، فترضخ لأمره، خاصة وأنها فتاة خجولة لا تعرف كيف تقول لا، وكما يصفونها خام جداً ليس لها أية خبرة بالحياة رغم شهادتها

الجامعية من إحدى الكليات المرموقة، وتم الزواج بعد المرور ببعض العثرات، التى تمر بعد تغاضي العريس وتفهم الأب ويعيشا في سعادة وهناء.

وفي أحد الأيام تعرف أنها حامل فتفرح أشد الفرح ولكن يكدّر فرحتها معرفتها بالصدفة من أحد أطفال العائلة أنها ليست الأولى في حياة زوجها وانه خطب فتاة أخرى قبلها ولم يخبرها بالأمرفتثور وتغضب، وكالعادة يستهين زوجها بالأمر قائلا انتِ لم تسألينى عن هذا الشأن من قبل، ويالها من حجة غبية فقد طفح الكيل بها، فيسترضيها وتنسى، وتستأنف حياتها معه بعد اكتشافها أنه كاذب، ولكن تبقى غصة في قلبها منه لا تمحوها الايام، فنحن حقا لا نعرف الآخرين الا بالمعاشرة والتجارب، ونجاح العلاقة الزوجية يتوقف على رغبة الزوجة في ذلك، ففي الحالة السابقة كانت تعلم جيداً أنها لو طلبت منه الطلاق لطلقها في الحال لأنه لا يحبها بالفعل كما أن مواقف الأنانية توالت كثيراً جداً ولم تكن لتمر مرور الكرام لولا أنها تنسى وتمرر حتى لا تتشتت الاسرة ويضيع الأبناء، هكذا كانت زيجات الأمس تستمر وتتماسك.

وكان قاسيا

كم تمنت لو كان زوجها يحبها لو كان يشعر بها ويتوق إلى الحياة معها، كان في أول الأمر أليفاً ودوداً ممتلئاً بالرغبة في أن يسعدها ولكن دون أى رغبة في المشاركة ولو حتى مشاركة الأحاسيس والأحلام.

شيئاً فشيئاً أصبح جافا يثور لأتفه الأسباب على استعداد أن ينهرها أمام الناس، أن يبكيها لو سقط شيئا من أدوات المنزل سهواً من يدها ولا يهتز له جفن، كان يحب أن يظهرها بمظهر الغبية التى لا تعرف شيء والتى تعيش في عالم آخر ولا تفهم ما يدور حولها، برغم ذكاءها الحاد الذي شهد لها به كل من عرفها، يستهين برأيها برغم أن الأيام كم أثبتت صوابه ويتمسك برأيه الخاطيء مهما خسر بسبب ذلك.

تزوجها وهى مازالت فتاة يافعة لا تتعدى الثالثة والعشرين وتحملت الكثير منه حتى لا تعود لأهلها وتتحمل ما سوف يتسبب فيه فشلها من لوم وهجوم واتهام بالخيبة وربما العديد من الإهانات من أهلها.

كانت عاقلة بما يكفي أن لا تحكى ما يقوله لها وما يجرحها به من كلمات موجعة، ظل ألمها بداخلها وإن لم تعبر عنه، لم يكن لديه أدنى استعداد للتغيير إما أن تقبله كما هو أو تنفصل عنه وتذهب لجحيم الأهل الذين شطبوا الإنفصال من قاموس حياتهم واتهموا كل من تنفصل بأشنع الإتهامات، مجتمع ظالم حقا.

كان قلبها أبيض أو حتى شفاف لا يحمل أي ضغينة لأحد، كم ساعدت كل من احتاج إلى مساعدتها من أهلها وغيرهم برغم كل ما تحملته على مدى عمرها، وساعدت زوجها نفسه بكل ما تَأَتّى إليها من مال من عملها الخاص، دون أى شعور منها بالمن أو الضيق ودون أن تنبس ببنت شفة عما عانت منه لسنوات، وتمر الأيام وتتراكم الآلام ويتبخر حبها له ويذهب أدراج الرياح.

التوأمان

كان ما بينهما كلام، والكثير والكثير من الأحلام، لم يخطر ببال أحدهما فكرة أو خاطرة إلا وقالها للآخر لم يرمش طرف أحدهما إلا وأحس الآخر بنفس الشيء، إلا انهما اقتربا بالفكر والعقل والشعور ولم ينقصهما إلا الحظ، وهو ما لا يمكن شراؤه ولا يمكن حتى أن يرتجيه البشر فكان الفراق الذي لا لقاء بعده وكل منهما لا ينسى ولا يأمل في الرجوع، وآلاف الاوجاع نبتت في جنبيهما ولم يبق على نهاية كل منهما وهو وحيد.

أقدارنا

أقدارنا تلقي بنا حيث تشاء، نستسلم وماذا نملك من أمرنا؟ الحقيقة أن هناك أموراً غير قابلة للتغيير في حياتنا، مثلا من نعرفهم في حياتنا ومن هم جزء منها ومن نراهم ولا نستطع حتى ان نحدثهم، كل هؤلاء وجودهم في حياتنا قدر لا نملك تعديله، بعضهم نعمة نحمد الله عليها، وبعضهم نقمة ندعو الله ان يقوينا ويقوّي من عزائمنا لتقبلهم، ولكن تبقى أمنياتنا ليست بأيدينا ولا نملك تحقيقها ونتمنى من قلوبنا فقط أن يكون الجميع بخير.

وتعود بنا الأيام إلى زمن الآلام، كنا تناسينا أنين القلب ودموع الروح، كنا سافرنا في رحلة الأيام مع ضمير السنين واعتبرنا أن الإنصاف له وقت وسيأتي، ولكن تأبى الدنيا إلا أن ندفع ثمن أخطائنا ونظل طول العمر نهفو للحظة راحة نفسية ما هي إلا وهم جميل.

قلتها ذات مرة: أتركنى أعيش في الوهم سعيدة، ولا تخبرنى أنه خيال، هو أفضل عندي من حقيقة تؤلمني في كل لحظة وتفت في عضدي.

هيهات أن أتحمل برد ليالى الفقدان أو أتحمل ألم الذكرى أو أوجاع حلّت بقلبي من جراء نفاق البشر.

هرمت روحي في ليالٍ قليلة وكأنني لا أملك إلا لحظات وأغادر عالماً يخلو من الصدق والأمل والنجاة.

المحبة الحقيقية

المحبة الصادقة الصافية الخالية من أى مصالح بكافة أنواعها، والتى تسمو بروح الإنسان إلى مرتبة أعلى من مراتب البشر، هي حقاً هبة من الله يجدر بمن لقيها أن يحافظ عليها بما يملك من قوة، وأن يحتفظ بها في قلبه وهو أغلى مكان حتى وإن تباعدت الأماكن وتقطعت العلاقات، فأنا أؤمن بأنها ستدوم إلى ما شاء الله، حتى وإن غادر أصحابها الدنيا فأنها تبقى شاهداً على ارتقاء البشر وسمو أرواحهم التي هي في النهاية نفخة من روح الله عز وجل كرم بها الإنسان من دون باقى المخلوقات، فهنيئاً لكل من هيأ له الله أن يصادف محبة صادقة وليدعو لمن يحبه أن يدوم معه للأبد.

أصارح نفسي

قالت لي:

أغضب من نفسي أحياناً وأكرهها أحياناً أخرى وأعاتبها وأنهرها أيضاً وأعنفها لو فعلت أو قالت ما لا يمثلني، وما لا يعبر عني، أضيق ذرعاً بالظروف وبالأيام وبالعمر الذى يمضي على غير ما تمنيت.

كم رأيت نسمات تحمل العبير الصافي للأمان تحيطني بهالة لا أصدقها من الإطمئنان ولكن سرعان ما تمضي مخلفة وراءها لا شيء يذكر، كم تعودت على أصوات من يعيشون في قلبي وأنا أسمعهم يحدثونني ولا يدعوني وحيدة يشاركونني كل ما أفعل ولكن في النهاية هم أصوات من الماضي فقط وتعود الحياة الباردة الكئيبة واعود أنا وحيدة.

أزمة نفسية

قالت لي:

عندما تشعر أن قلبك يذوب دفعة واحدة من الألم فماذا تسمى هذا؟

وعندما تتأكد أن أحداً لم يفهمك ولم يشعر بك وأن عليك أن تعتاد الوحدة بكل ظلمتها وظلمها وأن البشر جميعهم يسعون إلى إسعاد أنفسهم وأنفسهم فقط دون النظر بعين الإعتبار لمن يتألم ومن يدفع الثمن ومن يدفع الحساب في نهاية المطاف، كم كنت أظن أن المشاعر البرّاقة التي تبدو صادقة لديها من العمق ما تنفذ به في القلب فترى كل ذرة ألم وكل ذرة ضياع، ولكن أدركت الآن أن هذا ليس صحيحاً ولا عزاء للقلوب المرهقة من الرحيل.

الإقتراب من الناس

قالت لي:

الحقيقة أن الإنسان مخلوق إجتماعى بطبعه، زمان وأنا صغيرة كنت خجولة جداً وأفضل العزلة ولذلك فاتني الكثيروالكثير جداً من المعارف التي لم أكتسبها بسبب بعدي عن من هم حولي لم يكن لي إلا قلة من الاصدقاء أحببتهم لدرجة التعلق، وكم تألمت كثيراً عندما فارقتهم في الجامعة لدخولي كلية مختلفة عنهم، المهم عندما عملت شخصيتي تغيرت إلى حد ما، وأصبحت أحب التواجد مع الناس والصحبة الطيبة ولكن بحدود طبعاً يعنى حياتي الشخصية تابووو، ممنوع الإقتراب منها إلا لصديقتي الأنتيم وتأكدت أن القرب من الناس بحساب هو أفضل قرار لأن السعي وراء الكمال غاية لا تُدرك، خاصة في مجتمع ليس مثالي ومعظمه قائم على المجاملات، وأنا لأني صريحة جداً وبحكم تربيتي المحافظة كان صعب علي جداً أن أكون مثلهم لكن الوسطية والإعتدال طبعاً أفضل كثيراً من العزلة ومن الإختلاط الشديد.

فنجان قهوة

دقت الساعة السابعة، فصنعت قهوتها اللذيذة المفعمة بالود وكتابها الحبيب رفيقها وعادت بذاكرتها إلى أول فنجان تناولته معه منذ أعوام، فغلّفت مساءها بتنهيدة حائرة، ثم اغمضت عيناها فرأته يحتسي معها القهوة بكل حب.

قالت: أقسمت يوماً أن تصبح عندى أغلى من الدنيا وما فيها وكنت في قلبى ملء الروح والخيال ورضيت منك بالسراب والأوهام رأيتك عالماً لا ينتهى ونهراً للأمان لا ينحسر وكنت اربأ بنفسي عن مجرد تخيل ابتعادك وكنت أكذب عقلي وأقول هو ليس مثلهم، هو يشعر بي ويعرفني جيداً وكنت مني ملء الفؤاد والجوى، ولم أكن أعلم أن الرهان خاسر، وأن من سيدفع في النهاية أنا، ولم أعد كما كنت ولا أظنني سأعود فالافتقاد الذي لا أخبرك عنه يتسلى بتعذيبي ونفيي عن العالم، كان في الماضى ترياق الروح تمنيت لو دامت أيامه ولكننى امتطيت زورقا وأبحرت به في دموعي حتى صار جزءً من روحي وصرت سجينة بداخله، فدعوت ربي أن ينجينى مما يحيل عقلي إلى رماد

الموت الرحيم

نتراجع أحياناً عن كلمات قلناها من صميم قلوبنا ومشاعر عاشت في دمنا تنفسنا ألمها لأن من قيلت له فارقنا، بينما هي بداخلنا تقتات على فتات الأمل، وتحمل منا أنين الروح، فتتركنا سراب لا نهاية له.

فـي ترقرق الأمواج علامة
قالتهـا دومـاً لنـــا الأيـــام
فما ذهــب حقيقة لـن يعود
ومـا تبخّـر لـن يظـل غمام

اللجوء إلى اللّه

وما أجمله من رجوع، إنه العودة إلى الحق، إنه طريق الهداية الذي نُمضي حياتنا كلها بما فيها نصبو إليه، نتمنى لو حتى بصيص أمل أو طاقة نور تبعث في أرواحنا الأمان، ولما لا ونحن تسرى في جسدنا نفخة من روح الرحمن، ألا تكون هي عودة إلى الحبيب إلى قلوبنا؟ إلى الفطرة التي ارتضاها سبحانه وتعالى لنا؟

نسافر في العمر سنوات نسعى ونقابل بشر ونتعرض لمحن ولا ننجو إلا إذا استعنا به وحده من دون الدنيا بما فيها، فاذا لجأنا إليه عثرنا على الأمان والمغفرة والهداية، فلنسلك طريق الحق الذي يمنحنا الإطمئنان ويثبت في نفوسنا معنى السكينة والرضا بالمقسوم.

سنظل إلى أخر رمق في عمرنا بحاجة إليهِ نلجأ إلى بابه، ونتضرع بكل إسمٍ هو له أن يقبلنا عنده في عباده الصالحين التوابين.

الفراق

وهل يوجد بالدنيا ما هو أشد ألماً من فراق من نحبهم؟

لا أظن ولا سيما إذا كانوا هم النور الذي تهتدي به نجومنا بالليل الطويل وهم الأمل الذي نحيا له في صحراء العمر وإذا كانوا هم معنى الحياة فصارت برحيلهم بلا معنى، وهم جدول الياسمين في دروب أحلامنا وزورق النجاة من اليأس القاتل، ربما لم يعلموا ما هم بالنسبة لنا، وربما علموا ولم يصدقوا ولكن هيهات أن يعيشوا بدوننا ويقابلوا من يعشقهم بكل هذه المعاني التي تدور بخاطرنا ليتهم علموا وما رحلوا بدوننا.

مناجاة من وحي اللحظة

وقد تنبت الدموع حدائق من الكلمات، وقد تُزهر أمنيات لا يحققها إلا الله. وأحلى ما في الأيام لقاء كان صدفة فأصبح أجمل ميعاد مع السعادة، وأمل كان مستحيلاً فصار واقعاً يومياً.

أيامنا تمر وتحملنا إلى حيث لا نعلم، تقربنا من النهاية ولا نملك أن نوقفها، فقط أعمالنا هي الرفيق في نهاية المطاف ربما تركنا خلفنا بسمة وربما دمعة وربما ذكرى لا تُنسى.

الحقيقة الثابتة في الوجود

يارب، أنا نادمة على كل لحظة مرت بى في صلاتي لم أكن فيها بالخشوع الكافي، لأن يحل كل مشاكلي النفسية وكل عواصفي الوجدانية التي مرت بي من قبل، أنا متعجبة من نفسي كيف لم أستطع السيطرة على أعصابي وعقلي وروحي، وكل مجامع أمري لأكون بهذا القرب من ربي الذي يتيح لي أن أهدأ وأن أفهم كُنه الصلاة والتواصل الحق من خلالها والرضا عن النفس والذي لم أحظ به سوى في هذه اللحظات الآن فقط وقد عثرتُ على نفسي أخيراً.

وجدتها ضائعة تلهث وراء أحلام تافهة لا تستحق العناء، وأعصابى مرهقة طول الوقت ، أحمل بين جنبات نفسي روح معذبة مشتتة تطيل الصمود وتخشى الخطأ فتعيش في ضغوط لا حصر لها، لا أرى نفسي أحياناً وكأنني ترس يدور في آلة بإنتظام لا بداية ولا نهاية لعملها يا لها من أيام متشابهة تلك التي نحياها ولا نعثر لأرواحنا على أثر فيها.

كم من لحظات تتداعى فيها الهموم ونظل نفكر ونفكر فيها، ولا نلجأ لمن بيده الحل لكل معضلة بمنتهى السهولة فهو من هو؟

هو من بيده الأمر والنهي، وبيده الملكوت الأعلى سبحانه مالك الملك، لم أكن أرى نفسي، لم أكن أرى حجمي الحقيقي ماذا أكون أنا في الملكوت الأعلى.

أذكرك كثيرا يارب، أتصرف وأتحدث وأنا أعرف أنك تراني، لم أنس هذا للحظة واحدة في عمري، فأنت لا تغفل عني ولو للحظة. كم أرشدتني لما فيه صلاحي وما فيه نجاتي ربما غرتني الدنيا وأخذتني الحياة بإزدحامها وبمواجعها وبكل ما يقلق البشر ولكن أبداً لم أرض يوماً عن خطأ إرتكبته في ساعة حمق أو ابتلاء منك، لم أسعد ببعدي عنك ولم أنهض إلا عندما أخذت بيدي وأعنتني وكم طالت علي ليالي البؤس والمرض والإحتياج وكنتُ أعلم دائماً أنك معي ستعينني على أن أتخطى أصعب الأوقات وكل ما ألاقي، يا من لا أرتفع إلا بذلي لك وأستقيم بإنحنائي إليك يارب.

المعزة التى من القلب

قالت لي:

أحيانا تتخذ علاقتنا ببعض البشر صورة المعزّة، تلك المعزّة التي تحتوي على الإجلال والتقدير ورغبتنا في تواجدهم بحياتنا، لاننا نرى بهم الحياة افضل واكثر سخاء، ونشعر في وجودهم بأنهم سند حقيقي، وملجأ يواجه معنا مشاكلنا، وأحيانا مخاوفنا إذا التقينا هذا النوع من البشر الذي يساعدنا بلا أدنى غاية، وأقصى ما يتمناه أن يفرج كربتنا، أو يساهم في معاونتنا على صعوبات الحياة، فنحن حقا محظوظون ويجدر بنا أن نشكر الله على أن هيأ لنا من لدنه من يعتنون بنا بلا مقابل، ربما كانت جارة او صديقة او زميلة عمل، أيا كانت العلاقة فالمهم أن المعزة لا تتأثر بما يقطع علاقات البشر او يهددها، فهي حقا أجمل العلاقات.

حسن الظن

ماذا إذا كنت تتصرف بعفوية ويفهمك البعض بغير حقيقتك؟

ماذا إذا وثقت في البعض ثم وجدت منهم كل تهكم وسخرية، واتهام بالتكبر لمجرد أنك تحافظ على الحد الأدنى من اللياقة والأسلوب المناسب للسن؟

ماذا إذا رأيت نفسك تقابل بالإتهامات دون أن تملك حتى حق الرد أو الدفاع أو التفسير؟

يدخلون حياتنا يملؤنها صخباً وأملاً وحياة ثم ما يلبثوا أن يظهروا بعد قليل وكأنهم آخرين ويمنحون لأنفسهم الحق في التجريح وفي الإيذاء النفسي.

أحيانا نخطيء في تقدير الأمور، نتصرف بطبيعتنا التي لا تجيد التلون أو التصنّع، أحيانا نحتاج إلى وقفة مع النفس لندرك أننا أخطأنا وتعاملنا بمقاييس لم تعد مناسبة لعالم غريب، عالم يجيد سوء الظن ولا يعرف الا المقاييس المادية، ولا مكان فيه للخيال أو الشفافية.

الحضور والغياب

قالت لى:

يقولون أن الحضور أقوى من الغياب وأنا أقول إنهما يتساويان عندي، لأنه في كلتا الحالتين هم حاضرون في قلوبنا وفي أرواحنا .

هؤلاء الغائبون ربما امتلأت عيوننا بأطيافهم فهم يسكنون الروح، ويجرون منا مجرى الدم من العروق من غابوا لأجلنا، من غابوا بناءً على قرار ليس قرارهم هم في الحقيقة، لم يبرحوا مكانهم مازالوا في موضع ما داخلنا نحدثهم ونتذكرهم ويقبعون في تفاصيلنا ربما أكثر حتى من ذي قبل، وهل يهلك الروح إلا غيابهم.

نعد الثواني واللحظات في انتظار عودتهم ربما عادوا يوما.

السماء

لم اكن ادرك من قبل كم أنا عاشقة للسماء.

حينما أنظر إليها أرى نوراً يخطف الأبصار لا أدرى كيف ينتابني شعور بالطيران، ربما هي روحي التي تحلق في السماء.

أجدني أحكي ذكريات أدعو ربي، أتأمّل جمال صنع الله في خلقه المعجز، السماء عالم جميل من السمو والرحمة، إذا نظرت إليها لا أستطيع أن أنقل بصري بعيداً عنها، أتعجب كيف لم ألاحظ الصلة بين السماء وبين روحي من قبل.

قلب من ذهب

قالت لي:

حينما نعثر على قلب يؤمِّن لنا مكاناً ثابتاً فيه، ونتأكد أننا لن نغادره سواء أحياء أو بعد وفاتنا، هذا القلب كفيل أن يشجعنا على إكمال الرحلة مهما بلغت صعوبتها. يعيننا على تخطي الأزمات بالصبر والتحلي بالشجاعة في مواجهة أي صعب.

فقط إنْ وجدناه، عندئذ سنكون محظوظين لأننا امتلكنا أغلى ما في هذا العالم.

الكلمة القاتلة

أنا من هؤلاء الذين تقتلهم كلمة وتحييهم أخرى مازلت أؤمن أن الكلمة تحمل سراً من أسرار الوجود يمكن لها أن تحملنا إلى جنان السعادة، أو تلقي بنا إلى نهاية حياتنا، فكم من ليلة قضيتها ساهرة مريضة متألمة بسبب كلمة، وكم من ليلة أغلقت عيوني فيها على أحلام السعادة الخيالية بسبب كلمة أخرى.

كل ما أرجوه هو أن يفكر البشر قبل الكلام، ليعلموا أن هناك من لا يستطيعوا العيش مع الكلمات المؤلمة، ومن يتأثروا بكل كلمة تقال لهم، وربما غيرت كلمة مجرى حياتهم دون أن يشعرون لأنها بالفعل سلاح فتاك يقتل بعض البشر، وأنا للأسف منهم.

دعني أموت في هدوء

قالت لي:

لا تعكر صفو ليالٍ مرت ولن ترجع.

كنت بعينى أنقى ملاك ظل وسيظل إلى آخر أنفاس حياتي.. إعتزلت الكون بعدك ولا أريد أن أبقى طويلاً، يكفي أن جرحي صفّى كل الأدران ولم يدع سوى شق عميق ..

أصبو إلى فجر جديد أتنفس فيه من قلبي ليس من قلبك، أحنو على روحى ولو قليلاً ليس على غيري، أعتزل الكون، أصفو بذهني منك، وشجيرات الربيع التي جفت لا أريد أن أراها، فذنب موتها ليس بعنقي وحدي...

دعني أحب قلبي بعد أن ظلمني وربما خانني، وانفتح مرة واحدة برغم أني علمته الحرص، وتوخّي الحذر طيلة حياته.

ولكنه بسببك نسي الدرس، ورسبت أنا في أخطر إمتحاناتي... معي الله.

أشجاني

قالت لي:

منذ عرفتك وأنا عرفت طريق الدموع التي تراق من القلب قبل العيون، كلما تذكرتك وجدت آلاف الأمواج تحملني إلى المياه العميقة دون زورق للنجاة، خططت بدموعي كلمات الوجد التي تشع أنيناً ودعاءً، وتمنيت لو توقف الزمن بي حيث كنت أنت حقيقة لا طيفا يعيد إلي نسمات الماضي الجميل.

نمقت كلماتي ونضدتها عقداً من الإيمان أعتصم به ليحميني من اليأس وآه من فقدان الأمل وآه من الغرق في بحار الأيام.

ياليتني عرفت طريقاً لأسير فيه إليك.

قتلتني كلماتك عن الألم الذي لا يشفى، فدعوت الله أن يرفق بك من أجلك ومن أجلي فكم تألمت لألمك ولا عجب في ذلك.

رحماك يا الله، ثبّت قلبي فأنت أعلم بي وليس لى سواك معين.

زراعة الأمل

ويظل الفؤاد معلقاً بزهرات الربيع، يتفقد قطرات الندى وهي تبللها ويمضي قلقاً خائفاً عليها يرعاها بمزيج من الحنان والألم لأنه يعلم أنها لن ترقى إلى الخلود، ستفارقه يوماً ما.

أراقب باهتمام زفرات الأشجار وهى تبعث بعبيرها في الفضاء فتنشط من خمل وتمنح الأمل لمن مل من الانتظار وتسقي الروح بكل عناية واهتمام لتصبر على متاعب الدنيا ولا نملك إلا الأمنيات العِذاب.

كلما ضاقت الحروف على معاني الكلمات أدركت أن المعاني أكبر من أن تقال، وكلما مرت اللحظات لتحمّلني بأقسى أنواع الابتلاءات أدركت أن الدنيا لا تساوى عندي قلامة ظفر، وكلما تأكدت أنه لم يبقى لي أمنيات علمت أن الله سيرفق بي ويرحمني.

الإختبار الحقيقي

الأزمات التي نمر بها دائماً ما تظهر معادن البشر من حولنا.

كثيرا ما نكتشف أننا رأينا من الناس من اعتبرناهم سند أو ضرورة من ضرورات الحياة، وثبت بالتجارب وفي أصعب أوقاتنا أنهم آخرون وليسوا كما رأيناهُم أو اقتنعنا بهم بل على العكس لم يبالوا بنا ومررنا من حياتهم كأننا هواء، ولذلك لا يختبر معدن البشر إلا في أوقات الشدّة ...فهي فقط ما تحمل معها أصدق المواقف وعليها تترتب أخطر القرارات.

عودة الــود

اللى بنحبهم من قلبنا عمرهم ما بيهونوا علينا مهما بعدتنا السنين، لما بنرجع لهم بنبقى كأننا عمرنا ما بعدنا ولا يوم، هما فعلا بيبقوا كأنهم حتة من قلبنا مهما حاول الناس يبعدونا أو الظروف خدتنا واتسرسبت السنين من بين إيدينا، بيفضل جوّانا حاجة رافضة تصدق إن الوقت فات، أو إن القلوب ممكن تتغير.

بجد الفرصة لسه ما راحتش، أي حد بعد عن حبايبه وأهله لأي سبب ولأي عذر يقدر يرجع لهم ويدفى بحنان قلوبهم قبل ما يفوت الأوان، ويصبحوا ذكرى ويفضل يندم عليها طول عمره.

هل يمكن أن يقترن الحب بالخوف

سؤال حيرني كثيراً أظن إنه صعب جداً أن يعيش الحب وينمو محاطاً بالمخاوف من كل ما حوله، مهما كان نقياً صادقاً خالياً من كل الشوائب، لو تعرض للخوف لا أظن إنه سيعيش فالحياة علمتنا أن الأمان أهم من المحبة، ويبنى عليه كافة المشاعر الايجابية فيما بعد، أما الخوف فلا يحمل سوى الضعف والحيرة والعذاب، فابحثوا عن الأمان أولاً ثم تحدثوا عن الحب، فإن انعدم الأمان لوجدنا أن الحب رفاهية لا يمكن الحفاظ عليها.

الخذلان

الخذلان بالإهمال وعدم الإكتراث قاتل بطيء، صدقوني يوصلنا إلى مرحلة من الرفض وفقدان الثقة بالنفس وبالآخرين وبالوفاء حتى، للأسف من يُخذل يصعب عليه ان يصدق او يطمئن ثانية، هذه حقيقة، الخذلان مؤلم ومُهين وموجع جداً يحملنا إلى آبار من العذاب، ولا يهون على من يُحب أن يأتي به أبداً.

قالت لي: حدثته بيني وبين نفسي فقلت:

هل؟ هل تستمع إلى دقات قلبي حين تعزف على أوتار حنيني أغلى الألحان؟ هل تتراءى دموعي لناظريك إذ تهطل فوق مقلتي حين أرى بعيون خيالي أغلى الذكريات؟

هل تذكر أنفاسي وهى تتسارع لاهثة تبحث عنك بين كلماتك الصماء، التي لا تحمل أي معنى وأنت تلقي بها بكل قسوة وعدم اكتراث، فتحملني ملايين المعاني التي تصر على أن أبتعد وأرحل وأكذب على نفسي وأتناسى وأحسن الظن وأخادع عقلي لصالح قلبي الموهوم إلى ما لا نهاية، ولا أتمنى إلا نهاية تريحني ولو كذباً.

أعرف منها أنني كنت على حق ولم أكن واهمة ولا باقية متشبثة بوهم صنعته لنفسي وسجنت روحي فيه لصالح السراب والذي لم أعد أمثّل له شيئاً.

قالت لي:

أقسمت يوماً أن تصبح عندي أغلى من الدنيا وما فيها وكنت في قلبى ملء الروح والخيال ورضيت منك بالسراب والأوهام رأيتك عالماً لا ينتهي ونهراً للأمان لا ينحسر وكنت اربأ بنفسي عن مجرد تخيل ابتعادك وكنت أكذّب عقلي وأقول هو ليس مثلهم، هو يشعر بي ويعرفني جيداً وكنت مني ملء الفؤاد والجوى ولم أكن أعلم أن الرهان خاسر، وأن من سيدفع في النهاية أنا، ولم أعد كما كنت ولا أظننى سأعود فالافتقاد الذي لا أخبرك عنه يتسلى بتعذيبي ونفيي عن العالم الله المستعان.

عندما يأتِ المساء

قالت لى:

في المساء يطول بنا الحنين ويشتد ونشدو مع أرواحِنا كم نفتقد دفء المشاعر وزخم المشاعر وجميل الكلمات .

الكلمات الحانية التى تحملها أنفاس نسيم المساء ونتألق وحدنا بأبهى العطور وكأننا ما زلنا مع من كانوا معنا ذات مساء.

في المساء نُحمّل النجمات ألف سلام ربما صادفها قلباً يسكن أرواحنا ويجهل العنوان فتسري منه مسرى نور الأمل في لقاء ذات يوم.

عندما تقهرنا الحياة وتتراكم علينا الآلام نتنحى جانباً، ننطوي على أنفسنا ونختبىء بداخل أرواحنا من الجميع، وتصير العطور بلا رائحة ومياه السلسبيل لا وجود لها بذاكرتنا.

عندما ينفذ صبرنا ونسمع همس العصافير رثاء فنحن قد شارفنا على الرحيل، عندما تكتوي بالذكريات ضلوعنا وينحني من الرياح عودنا فنحن إذاً في الرمق الأخير.

عندما تئن الكلمات على شفاهنا وتشهد دموعنا بما يجول في خاطرنا فنحن اذاً لا نتوق لشيء.

عندما تتجلى اطياف من فارقونا وتلاحقنا فلا نقوى على تنحيتها من داخل أحداقنا فنحن اذاً قد خرجنا من نطاق الواقع وسافرنا إلى حيث لا نعرف أين النهاية.

قالت لي:

وتمر عليَّ الذكرى فتنساب دموعي وكأني ما زلت أعيش بداخلها، كم تمنيت لو توقف بي الزمن عند لحظات عشتها بقلبي ونسيت فيها كل ما حولي ولكن للأسف ليس من طبع الزمان الوفاء.

تقتحمني الذكريات ولا مهرب منها إلا إليها.

مضت أيامى وكأنها لحظات عشت فيها بكل ما أملك من شعور وكأنني كنت أرسم حلماً ورديا لا يتحقق ولم أندم لأنى ذقت السعادة وعرفت معنى الأمل حتى ولو كان أمل كاذب.

قالت لي: لا أدرى كيف أستطيع العيش معه.

قلت: لماذا؟ أليس زوجك؟ هذا هو الطبيعي

قالت: ولكنني لا تربطني به أية عاطفة.

قلت لها: وكيف مرت عليكى سنوات معه؟؟؟

أجابتنى: بيننا عِشرة وتعوّد ربما مرت علينا معا لأننا لم ننتبه أنها تمر، وربما بالقصور الذاتي.

قلت لها: وهل العشرة تكفي وحدها؟

فردت: نعم، أنا أقلق عليه لو تأخر وأساعده وأقف معه لو مرض وأفضله على نفسي أحياناً. وإذا سافرت أو ذهبت لمنزل أبي أفتقد منزلي بكل ما فيه ومن فيه.

قلت:اذا أنت تحبيه ولا تعلمي، صدقيني، مجرد ان تتقبليه كل هذه السنوات ليس سهلاً إن لم تكونى تحبيه أو على الاقل تحبى حبه لك.

قالت: ربما ولكنه شعور هاديء وخالٍ من المشاعر الدافئة

قلت لها: نحن بحاجة لذلك في مراحل حياتنا المتقدمة وهي ميزة صدقيني ستريحك من عذاب لا تدري عنه شيئا فصمتت ومضت.

ويالله من جهاز

أحياناً يصبح كأنّه طوق نجاة يقلّنا إلى عالم آخر غير الذي نحيا فيه، يحملنا لمدن الأحلام، يُسمعنا أعذب الألحان ونمضي خلاله إلى بشر لم نراهم بعيوننا، وإنما نبصرهم بقلوبنا فحسب، نرى ما يريدوننا أن نراه منهم والذي طبعا هو أفضل ما فيهم، نعرف ذواتهم والتي لم يعرفها أحد من قبل، فنفهمها أحياناً، ونستطيب بحديثها أحياناً أخرى ولنا الحق كل الحق في أن نتعود عليه ونفتقده أيضا وهو كان مؤنسا لنا كثيراً نهرب إليه في ليالي الوحدة والجفاء ولا يردنا خائبين ولكن يمنحنا أجمل اللقاءات وأسعد اللحظات بين أشعار وقصص وألحان تُنسينا كل ما يعلق بنفوسنا من ملوثات الحياة وعوادم الضجر.

لنا فيه حياة أخرى ويالها من حياة إنه الهاتف المحمول الذي أصبح أخلص أصدقاءنا ونديم لياليا، تطيب به الأوقات وإن أنكرنا عليه أنه يحرمنا من العلاقات الإنسانية المباشرة، إلا أنه والحق يقال لم يتخلى عنا في أوقات مرضنا وضيقنا ويأسنا، أو حتى ضعفنا فما رأيكم في ذلك؟؟؟

ليتني مثلك

أوتدري حقاً أنك تعيش في سعادة، في نعمة كبيرة جداً لأنك لا تنتظر أحد لا تتمنى أحد لا تضع آمالا عِراضاً من أجل أحد أحياناً تلقي بنا الأقدار في مواجهة أحلاماً مستحيلة تأخذنا إلى آلاماً لا قبل لنا بها، إذا كان ما تتمنى بعيدا عن يدك مثل النجوم في ناظريك، يجذبك ضوءها وتحجبك المسافات عنها، أتعرف أن الزمن لا ينسي الأحلام الجميلة، ولا يرجعك إلى شاطىء كنت تمشى عليه بلا هدف يوماً، ربما تعاودك الآمال فتجد نفسك أسعد ببعض النور ولو بصيص فقط منه، يكفي لروحك حتى تصير أخف وأكثر شفافية وتشعر انك ستطير يوماً إذا إستمرت معك هذه الآمال، ولكن للأسف ما تلبث أن تجدها محض خيال ولن يتغير يوماً ويصبح واقعاً.

لا أعرف لم؟

وحيدة أنا كنت ومازلت، كلما مرت سحابة أمل تبددت سريعاً وبلا مطر، كانت أيامى منذ قديم الأزل معزوفة شرقية شجية تحمل أنفاس المستحيل، حتى حين ترن كلمات الأمل في أذني أستقبلها بإبتسامة بائسة، وكأنني أستكثر على نفسي ان ينتهى الشقاء كلما مرت بخاطري كلمات من عرفوني عن قرب وفهموا تداعيات روحي وأفكاري، أتاملها بمزيد من الشك والريبة وكثير من الألم.

لست شخصية إكتئابية فأنا لا أحب الأحزان ولا أتمنى أن تظل بقلبي ولكنها الأقدار تمنحنا ما تريد وتمسك عنا ما نريد.

قالت لى:

- لم يحدث وكان حبى متبادل أبداً، كان دائماً من طرف واحد وكنت لا أجرؤ على معرفة حقيقة مشاعر الطرف الآخر، ربما خجلاً أو خوفاً من الإصطدام بواقع يخالف ما أتمنى، ولكن هذه المرة مختلفة.

قلت لها كيف؟

قالت : هى المرة الأولى والأخيرة التى يكون فيها حبى متبادل بل وقوي فعرفت معنى أن يصبح الإثنان واحد وعرفت كيف يتألم أحدهما فيبكي الآخر من أجله.

وماذا كانت النهاية؟هل استمرت السعادة؟

قالت: أبداً . أخبرك بسر لا نهاية للمشاعر الصادقة ولكن العلاقات تنتهى وتنقطع وربما تنتحر أيضا إذا تدخلت فيها طبائع النفوس البشرية أما مسألة الأرواح فهى بيد خالقها يقلبها وقتما يشاء دون إرادتنا.

فقلت : صدقتى.

الإنسحاب

متى نعلن الإنسحاب من حياة أحدهم؟

الإنسحاب يحتاج قوة إرادة وقوة تحمل خاصة إذا كان إنسحاباً قسرياً لمن لهم مكاناً في القلب غالباً ما تسبقه محاولات كثيرة فاشلة ومحاولات لتجنبه ولكن تفرض علينا الظروف أحيانا ما لا نتخيله يوماً، كأن ننسحب من عمل أو حياة أو علاقة قوية وقرار الإنسحاب لا يأتي إلا بعد تفكير عميق إذا كانت الظروف تستدعيه أما إذا كان السبب هو جرح الكرامة أو الإنتقاص من رصيدك في القلوب، فهنا سبكون رد الفعل قوي وعنيف وغير متوقع كما قالت ام كلثوم:

"أصون كرامتى من قبل حبى".

للأسف في بداية المشوار لا نتخيل تلك اللحظة بكل ما فيها من ألم وأحياناً دمار نفسي ولكنها تأتي رغماً عنا ولا سبيل إلى تفاديها إن لم نحظى بمساعدة من يهتم بأمرنا.

الأمنيات المستحيلة

هل حاولت من قبل أن تمسك النجوم أو أن تقتنيها أو حتى أن تصل إليها؟

نقع كثيراً في أخطاء صغيرة في وقتها ولكنها تتحول مع الأيام إلى أخطاء كبيرة ويترتب عليها ما لم نتوقعه من آلام ربما كنا سنتجنبها لو فكرنا ولو قليلاً منذ البداية وتجنبنا الإندفاع الأهوج الذى يحملنا مالاطاقة لنا به من أثمان باهظة، ومما تنوء به الجبال من أحمال ثقال من القلق والتفكير والإنشغال، وجبالاً من الأوجاع كنا في غنى عنها، فقط لو كنا فكرنا ولم نتهاون مع مبادىء هي في الحقيقة جزء لا يتجزأ منا، حافظنا عليها كثيراً من قبل حفاظنا على أرواحنا ولكن ماذا أقول:

"لكل جواد كبوة، ولعلها تكون درسا لا يمحى من الذاكرة".

عندما أسعد

تمنيت أن يطول بي اليوم وأعيش فيه إلى الأبد.

ولا أدري أيحق لي أن أتمنى سرمدية اليوم عندما يحمل لي إحدى الذكريات أو إحدى الساعات التي لن تنسى أم لا.

المهم أنه سوف يطول في خاطري على الأقل وسيستمر طويلاً كلما تذكرته وكلما عشته بمخيلتي آلاف المرات وأيقنت أنني سأكرره كثيراً برغم أنني وحدى وأشعر بالحنين أيما شعور.

بائع الورد

يوجد في مدينتنا بائع للورد، لطالما كنت أتساءل لماذا لم يفكر زوجي من قبل في أن يهديني بعض الزهور ولا خطرت حتى بباله الفكرة، كثيراً ما تمنيت أن يدخل البيت مبتسماً حاملاً الورد ويقول لي: تفضلي يا حبيبتي، فأنا أعرف أنك تحبين الورود، خيال لذيذ كم داعب خاطري، أتدرون هو لا يعرف أصلاً إن كنت أحب الورود أم لا.

أظن أنني أخبرته بذلك منذ زمن بعيد ولكنه لم يهتم واذا ما عاودت هذه الكلمات كان سيعتبرني تافهة لا أدرى عن مشاكل العالم شيئاً، برغم أنني من فرط إحساسي بمشكلات الحياة من حولي أريد أن أنفصل عن العالم ولو لساعة أحيا فيها في الخيال الجميل، لا يكدر صفوي واقع مؤلم لن يغيره الإندماج فيه واجترار المعاناة.

تأملات من سحر الطبيعة

كيف لي أن أصدق أنني لم أرى هذا الجمال في الكون من قبل؟

كنتُ أمرُ على النباتات الخضراء والأشجار دون أن ألاحظ الإختلاف بينها وكيف أنها بهذا الجمال الذى أراه الآن، والوقوف أمامها يبعث في النفس مشاعر لم أعرفها من قبل وتأمُلها يمنحني السكينة التى أفتقدها كثيراً أو ربما بحثتُ عنها في مواضع أخرى غير مناسبة.

كيف لي أن أصف شعوري وأنا ألمس قطرة ندى على ورقة نبات حيّ ويتنفّس مثلي ،أنا حقاً ممتنة لك يارب أن جعلتني أرى أخيراً كل هذا السحر والجمال في الوجود وهو ما لم أره من قبل.

شعور جميل بالإطمئنان لن تعثر عليه بدونه.

إيناس الروح

هناك أرواح نأتنس بها وهذا نادراً ما يحدث حيث نعثر عليها بالصدفة البحتة دون بحث أو ترتيب فننجذب إليها في لحظة واحدة لا غير، وتظل عالقة في ذاتنا سنيناً وربما ما حيينا.

فإذا حالفنا الحظ صارت صداقة رائعة قائمة على المحبة في الله، وأن لم يحالفنا فستبقى ذكراهم بداخلنا تسكن أجزاء النفس.

الليالى الطويلة

كم تطول علينا الليالي ونحن ننتظر. ننتظر الى مالانهاية. كلما ظننا أننا عثرنا على ما نتمنى ما نلبث أن نكتشف أنه سراب وأننا سننتظر مرة أخرى، كم يصير الليل داكن اللون حالك الإسمرار اذا شعرنا فيه بالوحدة .

السكون حولنا في كل مكان في كل طريق في كل روح بينما تزخر أرواحنا بآلاف المعاني، نسير خطوات وحدنا ولا نعثر على أحد ولكن هيهات أن نعثر على أنفسنا فما نفقده لا يعود، الشجون تتراكم والأحزان تتزاحم ولا ينجو الأمل من الملل والضباب الذى يملأ الطريق فيفقد الأمل مبتغاه ويغدو بلا بارقة نور تهديه ريثما يصل. وياليته سيصل في يوم من الأيام، حتى الدموع تقف على حافة المقل ولا تسقط، فهى تشعر بالأسى حقاً وهى أسيرة الى مالا نهاية.

قالت لي: ليست كل القصص يمكن أن تُحكى.

فقلت لها: بمعنى؟

هناك قصص تحدث وتنتهي ولم تغادر نفوسنا، تعلقت فيها أرواحنا بخيال ثم تبدلت الأحوال، فآثرنا أن تصبح سراً لا يذاع.

- مثل ماذا؟

- مثل القلب الذى يعاتبنا على أنّا استكثرنا عليه السعادة وفضلنا أن نسقي كبرياء العقل من دمائه، ذلك القلب الذي تعذب دائما حتى وهو يسعد كان يتعذب.

- أراك تقولين ألغازاً.

قالت: أبداً ليست الغازاً هى قصص القلوب المتعبة الواهنة التي ضجرت من ضعفها وظنت أن الموت لها حياة و أن من يربت عليها سوف يحميها وينهض بها بعيداً عن الآلام ثم ما لبثت أن تأكدت أنه وهم وأنه إنما يغوص بها في أعماق لا قبل لها بها.

- أظننى فهمت، يا ليت للقلوب عقل يعي ما تقبل عليه بإرادتها.

وتنتهى الأشياء الجميلة

وتمر اللحظات التي تمنينا ألا تمر، وتأتى لحظة حاولنا كثيرا تجنبها، ولكنها دوماً تأتي.

كنا نسوّفها ونتناساها ولكنها دوماً تأتي، وهي لحظة الوداع.

لحظة تخيفنا، توجعنا، تدمر فينا معاني الأمان ..ولكن لكل شىء نهاية.

كم ظننا أن الزمن ربما تغافل عنا وجنبنا ما نخشى ولكن هيهات فهي طبائع الأشياء ولا شيء يدوم لا فرح يدوم ولا حزن يدوم ولا محبة تدوم ولا أمل يدوم، ولا يدوم الا وجه الله.

ثم توارى الضياء

حينما نهتدي بنور من يقين يهبنا طريقاً لم نألفه من قبل ويحرك فينا ما لم نعلم أنه موجود بداخلنا، نوراً يشبه نور الهداية من الضلال نوراً يقضي بأن ندرك أسراراً في الكون وفي النفس البشرية وهبات منحنا إياها رب العباد كانت غائبة عن وعينا لزمن طويل.

وفجأة ينطفيء النور وتعم الظلمة فهل يا ترى سننسى الأسرار التى عرفناها هل سنصاب بكبوة فنلقى في منحدر طويل طويل، يأخذنا إلى نهايتنا الحتمية؟

ربما يحدث ذلك فحين ينطفيء النور ونسبح في الظلمة تغيب عنا معاني الأمان ونشعر بالخوف من المجهول ونشعر بهواننا حتى دموعنا لن تنقذنا مما نسقط بداخله، فيا ليتنا نرى ولو بصيص من ضياء بعد إن توارى الضياء.

التصالح مع النفس

أظن أنه في قمة الرضا عن الذات، سواء عن أفعاله، أقواله وربما أفكاره، وهى حالة مزاجية وشعورية تقود الإنسان إلى الإحساس بالإمتنان لكل ما يملك ولكل ما وهبه الله فيشعر بأفضليته على باقي المخلوقات ويشعر بأريحية تظهر على ملامحه وعلى قسماته فيبدو هاديء بشوش راضٍ ذو طمأنينة قلما تتوفر لمن هو ناقم على حاله.

التصالح مع الذات أمر هام وحيوي يتطلع إليه الجميع وهي هبة يهبها الله لمن يملك نفساً طاهرة ويملك نقاء السريرة فيرى الحق حقاً ويرى الباطل باطلاً جعلنا الله وإياكم ممن يتصالحون مع أنفسهم دائماً، ويشف ظاهرهم عما يجول في خاطرهم.

الصمت القاتل

أنت تجيد الصمت، وأنا أجيد الإستماع إلى صمتك، وألمح في قسماتك عتاباً يذيب قلبي أحياناً.

أتشاغل بكل ما أمامي لأتوقف عن التفكير ولكني لا أنشغل للأسف .

أتراك تجيد الحضور الغائب أم الحضور الباهت؟

أم أنى واهمة؟ وأنت توقفت عن الإنزعاج بأمري.

لا عليك، حتى لو مضيتُ من خيالك ونسيتني فلن أغضب فهي حال الدنيا كعادتها معي، ولكنى أتمنى أن أصبح مثلك ولا أستطيع.

قدرات قد تبدت

تستطيع أن تطيع عقلك في أمري، تستطيع أن تنتظر يوم رحيلي لكن لن تستطيع أن تمحو ذكرى عاشت في روحينا أو زماننا يبتعد كل يوم ويبعدنا أكثر.

كيف استطعت أن تبرأ من جروح لا شفاء لها، ودموع لا أمل في طريقها.

كيف استطعت أن تعيد كل شيء إلى موضعه السابق فتلتئم جراحك وتقصر ليلك الطويل.

هل حقا أن الزمان خير طبيب؟ أم إنه يختار ضحاياه بعناية ولابد أن يكونوا من المكلومين والأكثر ألماً؟؟؟

قدراتنا يحددها مدى إستغراقنا في الأحلام ومدى تعلقنا بها وهاهو الزمن يظهر كل على حقيقته.

كلنا بحاجة إليك

كم كنت في حاجة إلى مثلك في حياتى اليد الطيبة التى تكفكف الدموع ، والروح الراضية التى لا تنتظر أى مصلحة والعين التى تسهر وتقلق على من يغيب .

كم كنت أحتاج إلى عطاء الديمة الحنون التى تغدق الخير والبر بلا مقابل ، اليد الطاهرة التى تمنح العون ولو بمجرد كلمة تشجيع أو سؤال عن حال ، وتربت على جرح المكلوم .

شعور جميل أن يعتنى بك قريب إلى قلبك بدون طلب منك.

ولكن أين ذلك الخيال الجميل .... لا وجود واقعى له أبدا.

الدموع الظالمة

ترى ما تفسير تلك الدموع التى تتساقط حين نرى النهايات الحزينة والقصص الفاشلة تتراءى أمام أعيننا وكأننا أبطالها الحقيقيين؟ وكأن الزمان توقف بنا لنتذكر ما كنا نلاقي من آلام عندما كنا فعلاً أبطال قصصا مماثلة.

لم أجد تفسيراً مقنعاً يرضى عقلي لمشاعر الحزن العميقة التي تنتابني في نهاية رواية أقرأها وأعيش معها لبعض الوقت وكأنها رغبة في جلد الذات لإجترار الآلام.

وكأن ما بحياتنا من آلام لا تكفينا فنضيف لها آلاماً جديدة.

وكأن الآلام أضحت جزءً لا يتجزأ من واقعنا.

ألا يجدر بنا أن نعثر على دواء، أفضل من البحث عن العذاب؟؟؟

حديثي إلى اللّه

من لي سواك يا حبيبى ياربي، من لي من العالمين معيناً يا ودود، إذا توليتني فمن ذا يهمني من الدنيا بما فيها، حسبي أنك منقذي، حسبي أنك حافظي ومعيني. سكن الكون من حولي، وظللت وحدي أناجيك، وأستغفرك، وأنت تنظر إلى قلبي فتراه، ولا يراه سواك.

تعلم أننى أحبك، وأحب كل من يحبك، وأتطلع إلى رضاك. فأنت تمنحني السلام والهداية، وأنا أعجز عن شكرك ببشريتي القاصرة.

أنت الجبار تجبر كسورنا في كل حين وأنت اللطيف فلطفك يحوطنا ويرعانا وأنت المنعم الرحمن الرحيم، تغلفنا برحمتك فلا يضرنا بشر، أنت حسبي وكفى.

مرت أيامى بسلام

كم كنتُ أصارع وأقاوم، أتساقط وأكابر، وأغمغم بالكلمات، أيامي كانت تتدافع، تقهرني وتعاند وأواجه أمواج العثرات كنت أحارب.. أتغافل، وأحاول أن أتوارى بين الصدمات.

أيامى مرت لكن ما مرت من فكرى ولو لساعات، أحيانا نرثى لحياة بل كنا نغامر ونواجه تحديات، ما عادت أيامي تقوى على الصدمات، ماعادت روحي تراعي الأحياء والأموات، ما عاد الماضي يجافيني بل تتناقل منه العبرات، كانت آمالا وحياة بل كانت أياماً وساعات.

ويحي، كيف تتعارض كل الأمنيات، ما كنت أعيش بغير الأمنيات والبسمات والدمعات، لكني اليوم لا أملك إلا الآهات وقليل من هذي الأمنيات.

قالت لي:

اذا كان جواب القلب عن رسائل لم ترسل وكلمات لن تقال، ودموع لم يشعر بها أحد هو الصمت، إذا فليدرك أنه لن يتكلم مرة أخرى.

اذا كانت دهاليز النفس وأسرار الروح وأمنيات القلب لن يعرفها أحد فإنه إذاً أنين صامت ،وحنين دفين، وزخات من الألم تعتلي الروح بلا منازع، إذا كانت الحياة بلا هدف والدمع بلا سبيل لأن ترى النور واللسان معقود على ما يشفي الروح، اذا فمن أين تأتى النجاة؟

من الله وحده وليس سواه.

الوهم

أوهمنى أنه سيساعدني، ظننت أنه سيخرجني من اليم البارد قبل أن أغرق، ولكني رأيته يمنحني الوهم.

يظن أن بعض الوهم سينقذني، ظهرت نواياه.

يحاول تدفئة البحر من حولي، وهو يعلم جيداً أن هذا محال،

الآن فقط علمت معنى من يؤازرني بالفعل ومن يوهمني بذلك.

محبة الروح

هى محبة من نوع خاص، تجد فيها السعادة بمجرد أن تتواجد الروح التي تهواها في أي مكان، بقربك أو حتى بعيداً عنك، بمجرد أن تعلم أنها بخير تشعر بالإطمئنان الداخلي، وبأنك ملكت الدنيا وما فيها، ليس شرطاً أن تظل الروحان معاً ربما افترقا سواء بالسفر أو بالبعد القسري، أو حتى بالموت، ولكن أحدهما في الحقيقة لم يفارق الآخر، لأن ما بينهما ليس شيء مادي ملموس، هو حالة من اللقاء والمعايشة الخيالية التي تضفي على الحياة لكليهما بهجة لم يكن يعلم بوجودها من قبل، حالة يتحمل فيها المرء كل ما يمر به، تمر عليه لحظات سعادة خاطفة بينه وبين نفسه ترضيه وترضي غروره، وتشعره أن له أهمية، محبة الروح لا تفنى ولا تتغير ولا تتبدل، هي قارب نجاة يحمل من يعرفها إلى جزر الأمان، إلى ينابيع الهداية، إلى عالم خالٍ من الأضواء ولكنه يستنير بنور الحق ويمتليء بالمعاني النورانية الشفافة التي تدعو حقا إلى التأمل، من يسعده حظه فقط هو من يعرف هذا المعنى الرائع الذى يحمل صاحبه إلى السماء بكل ما تعني من السمو والجمال.

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.